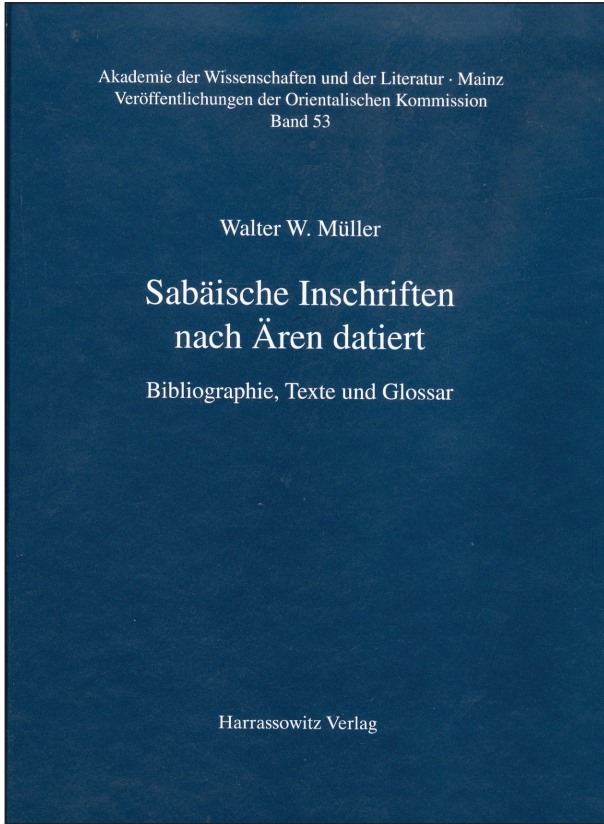


عرض الكتب



النقوش السبئية المؤرخة بالحقب

Sabäische Inschriften nach Ären datiert:

Bibliographie, Texte und Glossar

المؤلف: Walter W. Müller

الناشر: Harrassowitz Verlag

سنة النشر: ٢٠١٠م

مقاس الكتاب:

عدد الصفحات: ٢٤١ صفحة

ردمك: ٩٧٨-٣-٤٤٧-٠٦٢٨٦-٢

عرض: أ. د. هاني هياجنه

الوصول إلى نتيجة قد تكون بالغة الوضوح تارة وضبابية تارة أخرى، وذلك في سبيل الوصول إلى تحقيقها ووضعها في إطار زمني معين؛ فيعززون بعدها الحقبة المُستنتجة إلى الناس الذين كانوا يعيشون في المنطقة المعنية، ولعل ذلك يتيح لنا الاستنتاج بأنه من المستحيل أن تزودنا النصوص القديمة بمعطيات مباشرة حول النظام الذي كان متبعاً لدى شعب أو مجموعة أو جماعة معينة حول كيفية نظام التحقيق؛ فما هو متوافر ليس إلا محض إشارات ودلائل تمكننا من تلمس الأطر الزمنية التي يمكن أن تتموضع فيها، كأن يعبر عن الزمن بفترات حكم الملوك والحكام، وتميز كل فترة عن الأخرى بوساطة أسمائهم وتتابع أزمنة مُلكهم، ويضاف إلى ذلك أنهم لم يكونوا على دراية أو وعي بموقعهم الزمني من الحقبة التي كانوا يعيشونها أو يمرون فيها، سواء في بدايتها أو وسطها أم في آخرها.

إن فهم الكيفية التي يُقسَّمُ فيها الزمن إلى حقب وعصور وفترات تاريخية مهم جداً لكافة الأطياف المعرفية والمختصين فيها؛ إذ يمكنهم ذلك من التأسيس لقاعدة رصينة لفهم التسلسل الزمني لمنطقة معينة. فالتحقيق يُعد عاملاً مساعداً للبحث في التاريخ والماضي، كما يزودنا بسياق لفهم التطور الحضاري والتاريخي. وقد درج علماء التاريخ الحضاري على اعتماد معايير لرسم حدود تفصل الحقبة الزمنية عن سابقتها أو لاحقتها، فمنها الأحداث التاريخية التي تُعرَّف وتحدد بأنظمة ترقيم معينة؛ إلا أنه وفي كثير من الأحيان لم يستطع الناس الذي يعيشون في إطار حقبة خلت، أن يُعرِّفوا أنفسهم بهذه الحقبة أو تلك بالانتساب إليها، إذ أن ذلك ممكن فقط للباحثين الذين سيتعاملون مع المنطقة المعنية مستقبلاً، حيث يعملون على الملمة خيوط وقرائن متعددة تمكنهم من رسم الصورة الزمنية لها، وبالتالي

ووضعها بين دفتي كتاب، الفضل في ملء عدد من الفجوات التاريخية، ما أضاف اللثام عن حقبة تاريخية مهمة في تاريخ سبأ وحضارتها، فالنقوش تغطي مسافة زمنية بفجوات متعددة بدأت في الكتاب بنقش يعود إلى سنة ٤٩ من حقبة نبط (والمائلة في نقش MQ-Hasi 8)، وسنة ٦٦٩ من الحقبة الحميرية (والمائلة بنقش CIH 325)، فهذه النقوش هيأت للباحثين مهادا غنيا ومصدرا جديدا لفهم هذه الحقبة، بناء على نقوش جديدة لم تكن منشورة من قبل، إذ أن نصف المجموعة تقريبا جديد وينشر لأول مرة في هذا الكتاب.

يناقش الكتاب في الصفحات من IX - XI مصادر النقوش التي اعتمدت عليها الدراسة، إذ تشمل نقوشا منشورة أصلاً، وأخرى كانت محصلة لأعمال ميدانية قام بها المؤلف نفسه، وغيرها ممن زوّدها زملاؤه، ويبيّن أن ثمة نقوشا أخرى لم يكن بالإمكان إدراجها في هذه الدراسة، لكونها في حوزة البعثة الأثرية الفرنسية إلى اليمن، أو بعض الهيئات اليمنية. ويشير المؤلف أيضا إلى أن الكتاب لم يشمل النقوش الزبورية المؤرخة، ويقصد هنا تلك النقوش المنقوشة على عسيب النخل، علما بأن بعضها موجود في مكتبة ميونخ تحت رمز (Monumenta Scriptura Sabaica)، وقد لخص لنا فالتر ملر أنماط النقوش المدروسة من دون الخوض في مسألة كيفية التحقيق المعتمدة وأسسها التي يمكن استقاؤها من النقوش ذاتها، ولكنه أقرّ بأنها تقع تحت ثلاث مجموعات:

١. حقبة م ب ح ض، والمعروفة بالحقبة الحميرية والتي تبدأ بسنة ١١٥ ق.م. (أو ١١٠ ق.م.)
٢. حقبة أ ب ع ل ي، والمعروفة بالحقبة الردمانية، فعلى أساس نقش المعسال (al-Mi'sal 2)، أمكن الاستنتاج بأن هذه الحقبة عرفت بعد بداية الحقبة الحميرية بـ ١٨٤ سنة، أي سنة ٦٩ ق.م.
٣. حقبة ن ب ط م، وقد اختلف في تأريخ هذه الحقبة، كما أوضح فالتر ملر نفسه، إذ اقتبس آراء متعددة لباحثين آخرين، ويبيّن أن بعضهم يقول بأنها تبدأ ما بين سنة ٤٨/٤٩ و ٢١ ق.م. (بحسب نيسكنز Nieskens)، أو ما بين ٤٤ ق.م. و ٢١ ق.م. (بحسب كرستيان روبان)، أو بعد بداية حقبة مبعض بتسعين

إن معرفة كُنْه التطور أو التحول التاريخي يمكن أن يُحدد من طرف علماء التاريخ الحضاري، في ضوء ظروف ومعطيات معينة؛ كالأفكار الدينية، أو الاجتماعية، التي كانت سائدة. وثمة آخرون، كعلماء الاقتصاد التاريخي، ينظرون إلى عملية التحقيق من وجهة النظر الاقتصادية البحتة؛ في حين أن علماء اللغة يحاولون فهم نظام التحقيق في منطقة معينة، من خلال انتشار لغة وأقولها، أو تحولها وتغيرها في سياق جغرافي معين، ومن ثم ربطها بسياق زمني؛ فكل ينظر إذا إلى تلك العملية من وجهة نظره المعرفية التي يمثلها.

لعل مجموعة النقوش المنشورة في الكتاب والتي قام الأستاذ الدكتور فالتر ملر (Prof. Dr. Walter W. Mueller) بتحريرها ونشرها فيه، تمكنا - ولو على نحو بسيط - من فهم طريقة التحقيق لدى سكان جنوبي شبه جزيرة العرب لحقبة زمنية معينة، وذلك في إطار تاريخي طويل امتد حتى انتشار الإسلام في ذلك الجزء. إن مؤلف الكتاب يعد بلا شك في طليعة العلماء الغربيين الذين تصدوا لفهم التاريخ الحضاري لتلك المنطقة بناء على النقوش والآثار؛ فقد كرّس حياته ليضع أسسا مهمة أدت بالمهتمين والباحثين في تاريخ شبه جزيرة العرب إلى فهم أفضل لتاريخها الاجتماعي والتاريخي، فخبيرته الطويلة في هذا المجال ومعرفته الموسوعية بالعالم السامي القديم منه والحديث، جعلته واحدا من رواد هذا المجال في القرن العشرين وحتى وقتنا الحاضر؛ وما صدور كتابه هذا في بدايات القرن الواحد والعشرين ما هو إلا دليل واضح على تكريس هذا العالم حياته لهذا النوع من المعارف. وقد تجلّى ذلك في تأسيسه لعلم الدراسات السبئية في جامعة ماربورج بألمانيا في سبعينيات القرن الماضي، ما ساعد على إيجاد آفاق جديدة لدراسي السبئية والتاريخ الحضاري لجنوبي شبه جزيرة العرب.

لقد مثّل هذا الكتاب ثمرة لجهود امتدت سنوات طوال، إذ عقد المؤلف العزم فيه على جمع النقوش السبئية المؤرخة بحسب الحقب، فتمكنا وللمرة الأولى من الاستناد إلى قرائن واضحة حول انعكاس نظام التحقيق لدى عرب الجنوب على نقوشهم، والكيفية التي اعتمدت، كما يتجلى ذلك في النقوش؛ فقد كان لصناعة دراسة خاصة بها،

من ناحيتين، الأولى: أن بعض المعاني المعروفة في المعجم السبئي للكلمات وردت في نقوش شملها ملر في دراسته، قام نفسه بتعديلها، ومَرَدُّ ذلك بحسبه أن دراسة السبئيات قد تطورت في العقود الأخيرة على نحو ملموس، فظهرت نقوش وآثار جديدة غيرت فهمنا لكثير من الكلمات؛ فعلى سبيل المثال النقوش المخزنة في متحف ظفار، وتلك التي وصفت عملية بناء سد مأرب (CIH 540, 541)، حيث ارتأى ملر بأن الحفريات المتصلة بأنظمة الري تسمح لنا بأن نفسر هذه النقوش والكلمات المحتواة فيها على نحو أفضل. أما الثانية، فمردّها إلى أن ٣٤ نقشا من مجموعة ملر لم تكن منشورة قبلا، فمحتوياتها المعجمية وما ورد فيها من أسماء لم تكن معروفة لجمهور العلماء والباحثين، ما يكسب هذا الكتاب قصب السبق في نشرها لأول مرة، فبعضها طويل وغني بالمفردات، ويحتوي معارف جديدة لم نشهدها في نقوش سابقة عليها، مثل نقش عبدان، والمعال، وغيرها؛ لذا، فإنه مما لا شك فيه أن المادة المكتتزة فيها تعد إضافة جديدة للمعجم السبئي.

قام ملر بمعالجة دقيقة وفاحصة وحصيفة للمفردات، وقد انعكست خبرته في المعجم السامي على تلك الدراسة، كما رتب الكلمات بحسب الترتيب اللاتيني وحسب جذورها المشتقة منها، وقد ميَّز الكلمات المقترضة من لغات أخرى، فحاول أن يعزوها إلى لغاتها الأصلية، وعندما ترد كلمة سبئية معروفة في المصادر العربية على أنها حميرية، كان ملر يعمل على تمييزها بذلك، كما عمد إلى كتابة الأسماء محرّكة، وذلك بناء على الموروث العربي، وبخاصة الجنوبي منه، وكذلك في ضوء ما هو معروف من طريقة لفظ أسماء الأماكن والقبائل اليمنية. إن دراسة ملر تعد وبحق إضافة مرجعية وأساسية وجوهرية لدراسات أخرى في النقوش العربية الجنوبية القديمة، والتاريخ الحضاري لجنوب شبه جزيرة العرب.

أو ثمانين عاما (بحسب ألفرد بيستون في مقالة غير منشورة)، أو أنها بدأت بسنة ٢٤/٢٥ ق. م. (بحسب رواية محمود الغول لملر، وكذلك بحسب زفتلر Zwitter في مقالته المنشورة).

تحتل النقوش ومعالجتها الجزء الأكبر من الكتاب، إذ تُوثق أغلبها فعاليات بنائية لقصور وبيوت، أو إكمال مشاريع بنائية أو أجزاء منها، أو انتهاء حملات عسكرية بنجاح وانتصار. وقد أعطي كل نقش رمزه الخاص به كما هو متعارف عليه في حقل النقوش العربية الجنوبية القديمة، ثم أتبع النقش بمعلومات حول مكان العثور عليه، فهذا باعتقادي جزء مهم لفهم التوزيع الجغرافي لنقوش كهذه، وما لذلك من أبعاد تاريخية، ومن ثم أعطيت قائمة بليوغرافية عن الأعمال والأبحاث التي عنيت بدراسة هذه النقوش، وهذا ما يخص النقوش المنشورة أو المعروفة، متبوعة طبعا بمعلومات حول المصدر الذي اعتمده المؤلف في التأكد من قراءة النقوش نفسها، إذ أن قراءه لها كانت نتيجة لدراسة فاحصة ومتأنية لتلك الصور المتناثرة في منشورات شتى، وإذ ما اقترح المؤلف قراءة جديدة غير تلك التي وردت في المنشورات الأصلية، فإنه يورد القراءة القديمة في الحواشي. لم تشفع النقوش بترجمة، وقد برر المؤلف ذلك بأن الكتاب قد يستخدم لأغراض تدريس النقوش والتمرين عليها وطرائق التعامل معها، كما كان حال كتاب فرتز هومل (Fritz Hommel: Suedarabische Chrestomathie 1893).

ولا يمكن اعتبار ذلك قصورا في الكتاب، والدليل على ذلك أنه أتبع مدونة النقوش المدروسة في هذا الكتاب بمسرد للكلمات والمفردات الواردة في النقوش المدروسة، إذ حوت الصفحات ما بين ١٢٥ - ٢٣٧ دراسة معجمية غنية تمثل أهم أجزاء الكتاب، إذ يمكن أن يعد هذا المسرد من أهم الإضافات إلى المعجم السبئي منذ صدوره عام ١٩٨٢، حيث لم تصدر بعده دراسات أو أعمال ذات بال كما هو الحال في الكتاب قيد العرض، وعلى الرغم من حقيقة أن هذا المسرد يحتوي مادة معجمية مستقاة من نقوش منشورة ومعروفة أصلا في المعجم السبئي، إلا أن يكتسب أهميته وفراذته

أ. د. هاني هياجنه - قسم النقوش - كلية الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك